

المجال الثالث الكُفر

ورد النهي في هذا المجال في ثلاثة سياقات عن الكفر بالله تعالى، في قوله تعالى: ﴿وَأَمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾ (٤١)، وقوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا نَزَّلْنَا عَلَى الشَّيْطَانِ عَلَى مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْطَانَ كَفَرُوا يَعْلَمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أَنْزَلَ عَلَى الْمَلَائِكَةِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَرْوْتَ وَمَا يَعْلَمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَرَوْحِهِ...﴾ (١٠٢)، وقوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ (١٥٢).

وتعريف الكفر: "ستر نعمة المنعم بالبحود، أو بعمل هو كالجحود في مخالفة المنعم"^(١)، وقيل: "الكُفْرُ في اللّغة: ستر الشيء، ووصف الليل بالكافِر لستره الأشخاص، والزَّرَاع لستره البذر في الأرض... وكُفْرُ النّعمة وكُفْرَانُهَا: سترها بترك أداء شكرها، قال تعالى: ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ (الأنبياء: ٩٤). وأعظم الكُفْرِ: جحود الوحداية أو الشريعة أو النبوة، والكُفْرَانُ في جحود النّعمة أكثر استعمالاً، والكُفْرُ في الدّين أكثر، والكُفُورُ فيها جميعاً"^(٢).

والكفر نوعان: كفر بالمنعم جل ثناؤه، وكفر بالنعمة. والكفر "مأخوذ من الكُفْر وَهُوَ السُّتْرُ والتغطية، وَمِنْهُ يُقَالُ لِلَّيْلِ: كَافِرٌ؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْأَشْيَاءَ بِظُلْمَتِهِ، وَاسْمُ الزَّرَّاعِ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ الْحَبَّ بِالتُّرَابِ، وَيُسَمَّى الْكَافِرُ كَافِرًا؛ لِأَنَّهُ يَسْتُرُ نِعْمَ اللَّهِ تَعَالَى بِكُفْرِهِ وَيَصِيرُ فِي غَطَاءٍ مِنْ دَلَائِلِ الْإِسْلَامِ وَبِرَاهِينِهِ. وَقِيلَ: الْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: كَفْرُ الْإِنْكَارِ، وَكَفْرُ جَحْدٍ، وَكَفْرُ عِنَادٍ، وَكَفْرُ نِفَاقٍ.

فكفر الإنكار هو أن لا يعرف الله أصلاً، أو لا يعترف به. وكفر الجحد: هو أن يعرف الله تعالى، ولكن يحجده، ككفر إبليس. وكفر العناد: هو أن يعرف الله تعالى بقلبه، ويعترف بلسانه، ولكن لا يتدين به ولا يتخذه ديناً، ككفر أبي طالب، وأما كفر النفاق: أن يعترف باللسان ولا يعتقد بالقلب؛ فهذه أنواع الكفر؛ فمن لقي الله تعالى بنوع منها لم يعف"^(٣).

(١) التعريفات، الجرجاني، ١ / ٢٣٧

(٢) المفردات في غريب القرآن، لراغب الأصفهاني، ١ / ٧١٤

(٣) تفسير القرآن، السمعاني، ١ / ٤٥ وما بعدها

وجاء في ذلك أيضا: "الكُفْرُ: كُفْرَانُ النِّعْمَةِ وهو نَقِيضُ الشُّكْرِ. والكُفْرُ باللهِ على أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: كُفْرُ الجُحُودِ، وكُفْرُ المُعَانَدَةِ، وكُفْرُ النِّفَاقِ، وكُفْرُ القَلْبِ واللِّسَانِ(١)".

والآيات الكريمة فيها نهي عن تناول السحر وتعاطيه، واعتباره شكلا من أشكال الكفر، يقول الإمام الجصاص: "أخبر عن الملكين أنهما يقولان لمن يعلمانه ذلك لا تكفر بعمل هذا السحر واعتقاده فثبت أن ذلك كفر إذا عمل به واعتقده(٢)".

ونهي عن كفر النعمة وجحودها فقد ورد في تفسير قوله تعالى (ولا تكفرون): "وَلَا تَكْفُرُونَ: هو من كفر النعمة، وهو على حذف مضاف، أي ولا تكفروا نعمتي. ولو كان من الكفر ضد الإيمان، لكان: ولا تكفروا، أو ولا تكفروا بي. وهذه النون نون الوقاية، حذفت ياء المتكلم بعدها تخفيفا لتناسب الفواصل. قيل: المعنى واشكروا لي بالطاعة، ولا تكفرون بالمعصية. وقيل: معنى الشكر هنا: الاعتراف بحق المنعم، والثناء عليه(٣)".

ونهي عن كفر الملة والاعتقاد فجاء في تفسير قوله تعالى (ولا تكونوا أول كافر به) يقول الإمام الجصاص: "وإن كان الكفر قبيحا من الأول والآخر منهيًا عنه الجميع، إن السابق إلى الكفر يقتدى به غيره فيكون أعظم لمأثمه وجرمه، كقوله تعالى: [وَلِيَحْمِلَنَّ أَثْقَاهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ] وقوله: [مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا] وروى عن النبي عليه السلام أن: على ابن آدم القاتل كفلا من الإثم في كل قتيل ظلما؛ لأنه أول من سن القتل، وقال عليه السلام: (من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة)(٤)".

ومن الألفاظ الشائعة في هذا المجال: تكونوا - كافر - تشتروا - آيات - ثمننا - قليلا - تكفر - فتنه - تكفرون.

(١) المحيط في اللغة، الصاحب ابن عباد، ٦ / ٢٥٠

(٢) أحكام القرآن، الجصاص، ١ / ٦٥

(٣) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ٢ / ٥٠

(٤) أحكام القرآن، الجصاص، ١ / ٣٨